أن السنةَ تفيدُ أنها جمعُ شهور والحِقْبةُ تفيد أنها ظرفٌ لأعمال ولأمور تجري فيها مأخوذةٌ من الحقيبة وهي ضربٌ من الظروف تتخذ من الأدم يجعل الرابك فيها متاعه وتشد خلف رَحْله أو سَرْجه. وأما البرهة فبعض الدهر ألا ترى أنه يقال برهة من الدَّهْر كما يقال قطعة من الدهر وقال بعضهم هي فارسية مُعرَّبة.

«الفرق» بين المُدَّةِ والأجَلِ أن الأجلَ الوقت المضروب لانْقِضَاءِ الشَّيْءِ ولا يكون أجلًا بجعل جاعل وما علم أنه يكون في وقت فلا أجلَ له إلا أن يحكم بأنه يكون فيه وأجلُ الإنسان هو الوقت لانقضاء عمره، وأجَلُ الدَّيْن محلُّه وذلك لانقضاء مدة الدَّيْن، وأجَلُ الموْتِ وقت حلوله وذلك لانقضاء مدة الحياة قبله فأجل الآخرة الوقت لانقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها ويجوز أن تكون المدةُ بين الشيئين بجعل جاعل وبغير جعل جاعل، وكلُّ أجلٍ مدةٌ وليس كل مدةٍ أجلًا.

«الفرق» بين النهار واليوم أن النهار اسمٌ للضياء المنفسح الظاهر لحصول الشمس بحيث ترى عينها أو معم ضوئها، وهذا حد النهار وليس هو في الحقيقة اسم للوقت، واليوم اسم لمقدار من الأوقات يكون فيه هذا السَّنَا، ولهذا قال النحويون: إذا سِرْتَ يومًا فأنت موقت تريد مبلغ ذلك ومقداره وإذا قلت سرتُ اليوم أو يوم الجمعة فأنت مؤرِّخٌ، فإذا قلت سرتُ نهارًا أو النهار فلست بمؤرخ ولا بموقت وإنما المعنى سرتُ في الضياء المنفسح ولهذا يضاف النهار إلى اليوم فيقال سرت نهار يوم الجمعة، ولهذا لا يقال للغَلَسِ[1] والسحر نهار حتى يستضيء الجو.

«الفرق» بين الدَّهْرِ والأبَد أن الدهرَ أوقاتٌ متواليةٌ مختلفة غير متناهية وهو في المستقبل خلاف قط في الماضي وقوله عز وجل: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء:٥٧] حقيقة وقولك: افعل هذا مجاز والمراد المبالغة في إيصال هذا الفعل.

«الفرق» بين الوقْتِ وإذْ وهما جميعًا اسم لشيء واحد حتى يمكن أحدهما ولم يتمكَّن الآخر أو مضمن بالمضاف إليه لكون البيان غير معناه بحسب ذلك المضاف إليه والوقت مطلق.

البابُ السَّادسُ والعِشْرُونَ

في الفَرْقِ بين النَّاسِ والخَلْقِ، والعالَمِ والبَشَرِ، والوَرَى والأنَامِ وما يَجْرِي مَعَ ذَلكَ والفَرْقِ بين الجَمَاعَاتِ وضُروبِ القَرابَاتِ، وبين الصُّحْبَةِ والقَرَابَةِ وما بسَبيلِ ذَلكَ

«الفرق» بين الناس والخلق أن الناس هم الإنسُ خاصةً وهم جماعة لا واحد لها من لفظها،

(١) الغَلَسُ: ظُلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح وفي الحديث: «أن النبي ﷺ يصلي الصبح بغَلَسٍ».

وأصله عندهم أناس فلما سكنت الهمزة أدغمت اللام كما قيل لكنا وأصله لكِنْ أنَا، وقيل الناس لغة مفردة فاشتقاقه من النَّوْسِ وهو الحركة، ناس ينوسُ نوسًا إذا تحرك والأناسُ لغة أخرى ولو كان أصل الناس أناسًا لقيل في التصغير أُنيس وإنما يقال نويسٌ فاشتقاق أُناس من الإنْس خلاف الوحْشَةِ وذلك أن بَعْضَهُمْ يأنسُ ببعض، والخلق مصدر سمّي به المخلوقات والشاهد قوله عز وجل: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [لقمان:١٠] ثم عدد الأشياء من الجماد والنبات والحيوان ثم قال: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:١١] وقد يختصُّ به الناس فيقال ليس في الخلق مثله كما تقول ليس في الناس مثله، وقد يجري على الجماعات الكثيرة فيقال جاءني خلْقٌ من الناس أي جماعة كثيرة.

«الفرق» بين الإنْسِيِّ والإنسان يقتضي مخالفة الوحشي ويدل على هذا أصل الكلمة وهو الأنسُ، والأنس خلاف الوَحْشَةِ، والناس يقولون إنسيٌّ ووحشيٌّ وأما قولهم إنسيٌّ ووحشيٌّ والإنسُ والجنُّ أجرى في هذا مجرى الوحش فاستعمل في مضادة الإنس، والإنسان يقتضي مخالفته البهيمية فيذكرون أحدُهما في مضادة الآخر ويدل على ذلك أن اشتقاق الإنسان من النسيان وأصْلُه إنسيان فلهذا يصغر فيقال: «أُنَيْسَانُ»، والنسيان لا يكون إلا بعد العلم فسمي الإنسانُ إنسانًا لأنه ينسى ما علمه وسميت البهيمة بهيمة لأنها أبهمت على العلم والفهم ولا تعلم ولا تفهم فهي خلاف الإنسان، والإنسانية خلاف البهيمية في الحقيقة وذلك أن الإنسانَ يصح أن يعلم إلا أنه ينسى ما علمه والبهيمة لا يصح أن تعلم.

«الفرق» بين الناس والورَى أن قولنا الناس يقعُ على الأحياء والأموات، والورَى: الأحياء منهم دون الأموات، وأصلُه من وري الزند يرى إذا أظهر النار فسمي الورَى ورى لظهوره على وجه الأرض، ويقال الناس الماضون ولا يقال الورَى الماضُون.

«الفرق» بين العالَم والناس أن بعضَ العُلماء قال أهل كان زمان عالم، وأنشدَ:

* وخِنْدفُ هَامة هَذَا العالَم *

وقال غيره: ما يحوي الفلك عالم، ويقول: الناس: العالمُ السفليُّ يعنون الأرض وما عليها والعالم العلوي يريدون السماء وما فيها ويقال على وجه التشبيه الإنسانُ: العالم الصغير ويقولون إلى فلان تدبير العالم يعنون الدنيا، وقال آخرون: العالم اسمٌ لأشياء مختلفة وذلك أنه يقع على الملائكة والجن والإنس وليس هو مثل الناس لأن كلَّ واحد من الناس إنسان وليس كل واحد من العالم ملائكة.

«الفرق» بين العالَـم والدُّنيا أن الدُّنيا صفة والعالم اسم تقول: العالم السفليُّ والعالم العلويُّ فتجعل العالم اسمًا وتجعلَ العلوي والسفلي صفة وليس في هذا إشكالٌ فأما قوله تعالى: ﴿ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [النحل:٣٠] فقيه حذف أي دار الساعة الآخرة وما أشبه ذلك.

«الفرق» بين الأنام والنَّاس أن الأنَام على ما قال بعض العلماء يقتضي تعظيم شأن المسمى من الناس قال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾

[آل عمران:١٣٧] وإنما قال لهم جماعة وقيل رجل واحد وأن أهلَ مكة قد جمعوا لكم، ولا تقول جاءني الأنامُ تريد بعض الأنام وجمع الأنام أنام قال عديُّ ابنُ زيد: إن الإنْسيَّ قلنا جمع نعلمه فيما من الأنام والأمم جمع أمة وهي النعمة.

«الفرق» بين الناس والبريَّة أن قولنا برية يقتضي تميز الصورة وقولنا الناس لا يقتضي ذلك لأن البرية فعيلة من برأ الله الخلق أي ميَّز صورهم، وترك همزه لكثرة الاستعمال كما تقول: همم الحابيةُ والذريةُ وهي من ذَرْءِ الخلق، وقيل أصل البرية البريُّ وهو القطع وسمي بريَّةً لأن الله عز وجل قطعهم من جملة الحيوان فأفردهم بصفات ليست لغيرهم، وذكر أن أصلها من البَرِيِّ وهو التراب، وقال بعضُ المتكلمين: البريَّةُ اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية، وليس كما قال لأنه جاء في شعر النابغة وهو قوله:

* قُمْ في البريَّة فاحدرها عن الفند *

والنَّابِغَةُ جَاهِليُّ الأبْيَاتِ.

«الفرق» بين الناس والبشر أن قولنا البشر يقتضي حسن الهيئة وذلك أنه مشتق من البشارة وهي حسنُ الهيئة يقال رجل بشيرٌ وامرأة بشيرة إذا كان حسنَ الهيئة فسمِّي الناس بشرًا لأنهم أحسن الحيوان هيئة، ويجوز أن يقال إن قولنا بشرٌ يقتضي الظهور وسموا بشرًا لظهور شأنهم، ومنه قيل لظاهر الجلد بشرة، وقولنا الناس يقتضي النوس وهو الحركة، والناس جمع والبشر واحد وجمع وفي القرآن: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[المؤمنون:٢٤] وتقول: محمدٌ خيرُ البشر يعنون الناس كلهم ويثني البشر فيقال بَشَران وفي القرآن: ﴿ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾[المؤمنون:٤٧] ولم يسمع أنه يُجمع.

«الفرق» بين الناسِ والجِبِلَّة أن الجِبلَّة اسمٌ يقع على الجماعات المجتمعة من الناس حتى يكون لهم معظم وسواد وذلك أن أصل الكلمة الغلظ والعظم ومنه قيل الجبل لغلظه وعظمه ورجلٌ جبل وامرأة جِبلَةٌ غليظة الخلق وفي القرآن: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الشعراء:١٨٤] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾[يس:٦٢] أي جماعات مختلفة مجتمعة أمثالكم والجبل أول الخلق جبله (١) إذا خلقه الخلق الأول وهو أن يخلقه قطعة واحدة قبل أن يميز صورته ولهذا قال النبي ﷺ: «جُبِلَتِ القُلوبُ على حُبِّ مَنْ أحسَن إلَيْها» (٢) وذلك أن القلب قطعة من اللحم وذلك يرجع إلى معنى الغلظ.

(١) الجِبِلُّ: الأمة. والجماعة من الناس. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[الشعراء:١٨٤]. والجِبِلَّة: الخلْقَة، والأمة. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾[يس:٦٢]

(٢) أبو نعيم في حلية الأولياء برقم ٣٥٤.

وخلاف الإنسيِّ الجنّيُّ

«الفرق» بينه وبين الشَّيْطَان أن الشيطَانَ هو الشريرُ من الجن ولهذا يقال للإنسان: إذا كان شريرًا شيطان ولا يقال جِنى لأن قولك شيطانٌ يفيد الشر ولا يفيده قولك جِنِّي وإنما يفيدُ الاستتار، ولهذا يقال على الإطلاق لعنَ اللهُ الشَّيْطَانَ ولا يقال: لعن الله الجنيَّ، والجنيُّ اسمُ الجنس والشيطان صفة.

«الفرق» بين الرجُلِ والمَرْءِ أن قولنا رجل يفيد القوة على الاعمال ولهذا يقال في مدح الإنسان أنه رجل، والمرء يفيد أنه أدب النفس ولهذا يقال المروءةُ أدبٌ مخصوصٌ.

«الفرق» بين الجماعة والفَوْج والثُّلَّةِ والزُّمْرَةِ والحِزْب أن الفَوْجَ الجماعةُ الكثيرة ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر:٢] وذلك أنهم كانوا يسلمون في وقت ثم نزلت هذه الآية وقبيلة قبيلة ومعلوم أنه لا يقال للثلة فوج كما يقال لهم جماعة، والثُّلَّةُ: الجماعة تندفع في الأمر جملة من قولك ثللتُ الحائط إذا نقضتُ أسفله فاندفع ساقطًا كله ثم كثر ذلك حتى سمِّي كل بشر ثُلًا ومنه ثل عرشه، وقيل الثلل الهلاك، والزُّمْرَةُ جماعة لها صوت لا يفهم وأصله من الزمار وهو صوت الأنثى من النعام ومنه قيل الزمرة وقرب منها الزجلة وهي الجماعةُ لها زَجَلٌ وهو ضَرْبٌ من الأصوات، وقال أبو عبيدة: الزمرةُ جماعةٌ في تفرقة، والحزب الجماعة تتحزَّبُ على الأمر أي تتعاون وحزب الرجل الجماعة التي تعينه فيقوي أمره بهم وهو من قولك حَزَبني الأمر إذا اشتد عليَّ كأنه فَرِي إذا المرء.

«الفرق» بين الجماعة والبَوْش[1] أن البوش هم الجماعة الكثيرة من أخلاط الناس ولا يقال لبني الأب الواحد بوش ويقال أيضًا جماعة من الحمير ولا يقال بوش من الحمير لأن الحمير كلها جنس واحد وأما العصبة فالعشرة وما فوقها قليل، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف:٨] وقيل هي من العشرة إلى الأربعين وهي في العرية الجماعة من الفرسان والركب ركبان الإبل خاصة ولا يقال للفرسان ركب، والعدي رجال يعدون في الغزو والرجل جمع راجل والنقيضة هي الطليعة وهم قوم يتقدمون الجيش فينقون الأرض أي ينظرون ما فيها من قولك نقضت المكان إذا نظرت، والمقنب نحو الثلاثين يغزي بهم، والحظيرة نحو الخمسة إلى العشرة يغزي بهم، والكتيبة: العسكر المجتمع فيه آلات الحرب من قولك: كتبت الشيء إذا جمعته، وأسماء الجماعات كثيرة ليس هذا موضع ذكرها وإنما نذكر المشهور منها فمن ذلك:

«الفرق» بين الجماعة والطائفة أن الطائفة في الأصل الجماعة التي من شأنها الطوف في البلاد للسفر ويجوز أن يكون أصلها الجماعة التي تستوي بها حلقة يطاف عليها ثم كثر ذلك

(١) البَوْش: الجماعة في كثرة واختلاط - والغوغاء، والجمع أبواش، وأوباش.

حتى سمي كل جماعة طائفة، والطائفة في الشريعة قد تكون اسمًا لواحد، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾[الحجرات:٩] ولا خلاف في أن اثنين إذا امتتلا كان حكمهما هذا الحكم وروى في قوله عز وجل: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[النور:٢] أنه أراد واحدًا وقال: يجوز قبول الواحد بدلالة قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾[التوبة:١٢٢] إلى أن قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[التوبة:١٢٢] أي ليحذروا فأوجب العمل في خبر الطائفة، وقد تكون الطائفة واحدًا.

«الفرق» بين الجماعة والفريق أن الجماعة الثانية من جماعة أكثر منها تقول جاءني فريق من القوم، وفريق الخيل ما يفارق جمهورها في الحلبة فيخرج منها وفي مثل أسرع من فريق الخيل، والجماعة تقع على جميع ذلك.

«الفرق» بين الجماعة والفئة أن الفئة هي الجماعة المتفرقة من غيرها من قولك فأوت رأسه أي فلقته وانفأى الفرج إذا انفرج مكسورًا، والفئة في الحرب القوم يكونون رد المحاربين يعنون إليهم إذا حالوا ومنه قوله عز وجل: ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾[الأنفال:١٦] ثم قيل لجميع كل من يمنع أحدًا وينصره فئة، وقال أبو عبيدة: الفئة الأعوان.

«الفرق» بين الشيعة والجماعة أن شيعة الرجل هم الجماعة المائلة إليه من محبتهم له وأصلها من الشياع وهي الحطب الدقاق التي تجعل مع الجزل في النار لتشتعل كأنه يجعلها تابعًا للحطب الجزل لتشرق.

«الفرق» بين الناس والثبة أن الثبة الجماعة المجتمعة على أمر يمدحون به وأصلها ثبت الرجل تثبته إذا أثنيت عليه في حياته خلاف أبنته إذا أثنيت عليه بعد وفاته، قال الله عز وجل: ﴿ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ ﴾[النساء:٧١] وذلك لاجتماعهم على الإسلام ونصرة الدين.

«الفرق» بين القوم والقرن أن القرن اسم يقع على من يكون من الناس في مدة سبعين سنة والشاهد قول الشاعر:

إِذَا ذَهَبَ القَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِم ... وخَلفْت في قَرْنٍ فأنتَ غَرِيبُ

وسموا قرنًا لأنهم حد الزمان الذي هم فيه، ويعبر بالقرن عن القوة ومنه قوله ﷺ: «فإنها تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ»[1] أراد أن الشيطان في ذلك الوقت أقوى، ويجوز أن يقال إنهم سموا قرناء اقترانهم في العصر، وقال بعضهم: أهل كل عصر قرن: وقال الزجاج: القرن أهل كل عصر فيهم نبي أو من له طبقة عالية في العالم فجعله من اقتران أهل العصر بأهل العلم فإذا كان في زمان فترة وغلبة جهل لم يكن قرنًا، وقال بعضهم: القرن اسم من أسماء الأزمنة فكل قرن سبعون سنة، وأصله من المقارنة وذلك أن أهل كل عصر أشكال ونظراء ورد وأسنان

(١) الإمام أحمد في مسنده برقم ١٩٧٢٠.

متقاربة ومن ثم قيل هو قرنه أي على سنه ومنه هو قرنه لاقترانه معه في القتال، والقوم هم الرجال الذين يقوم بعضهم مع بعض في الأمور ولا يقع على النساء إلا على وجه التبع كما قال عز وجل: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥] والمراد: الرجال والنساء تبع لهم، والشاهد على ما قلناه قول زهير:

وَمَا أَدْرِي وسَوْفَ إخَالُ أَدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

فأخرج النساء من القوم.

«الفرق» بين الجماعة والملأ، أن الملأ الأشراف الذين يملؤون العيون جمالًا والقلوب هيبة، وقال بعضهم: الملأ الجماعة من الرجال دون النساء، والأول الصحيح وهو من ملأت، ويجوز أن يكون الملأ الجماعة الذين يقومون بالأمور من قولهم هو مليء بالأمور إذا كان قادرًا عليه، والمعنيان يرجعان إلى أصل واحد وهو الملء.

«الفرق» بين النفر والرَّهْط أن النفر الجماعة نحو العشرة من الرجال خاصة ينفرون لقتال وما أشبهه، ومنه قوله عز وجل: ﴿ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [التوبة:٣٨] ثم كثر ذلك حتى سموا نفرًا وإن لم ينفروا، والرهط: الجماعة نحو العشرة يرجعون إلى أب واحد وسموا رهطًا بقطعة أو لم يقطع أطرافها مثل الشرك فتكون فروعها شتى وأصلها واحد تلبسها الجارية يقال لها رهط والجمع رهاط، قال الهذليُّ:

* وطَعْنٌ مِثْلُ تَعْطِيطِ الرِّهَاطِ *[1]

وتقول: ثلاثة رهط وثلاثة نفر لأنه اسم لجماعة، ولو كان اسمًا واحدًا لم تجز إضافة الثلاثة إليه كما لا يجوز أن تقول ثلاثة رجل وثلاثة فلس وقال عز وجل: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ [النمل:٤٨] على التذكير لأنه وإن كان جماعة فإن لفظه مذكر مفرد فيقال تسعة على اللفظ وجاء في التفسير أنهم كانوا تسعة رجال، والمعنى على هذا: وكان في المدينة تسعة من رهط.

«الفرق» بين الجماعة والشِّرْذمة أن الشرذمة البقية من البقية والقطف ومنه قال الله عز وجل: ﴿ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء:١٢٥] أي قطعة وبقية لأن فرعون أضل منهم الكثير فبقيت منهم شرذمة أي قطعة قال الشاعر:

جَاءَ الشِّتَاءُ وقَمِيصِي أَخْلَاقُ شَرَاذِمٌ يَضْحَكُ مِنِّي النَّوَاقُ

وقال آخر: يجدن في شراذم النعال.

الفَرقُ بين ضُروبِ القَرابات

«الفرق» بين الأهل والآل أن الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص فمن جهة النسب قولك أهل الرجل لقرابته الأدنين، ومن جهة الاختصاص قولك أهل البصرة وأهل العلم، والآل خاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة، تقول: آل الرجل لأهله وأصحابه ولا تقول آل البصرة وآل العلم، وقالوا: آل فرعون: أتباعه وكذلك آل لوط، وقال المبرد: إذا صغرت العرب الآل قالت أهل فيدل على أن أصل الآل الأهل، وقال بعضهم الآل عيدان الخيمة وأعمدتها وآل الرجل مشبهون بذلك لأنهم معتمده، والذي يرفع في الصحارى آل لأنه يرتفع كما ترفع عيدان الخيمة، والشخص آل لأنه كذلك.

«الفرق» بين الولد والابن أن الابن يفيد الاختصاص ومداومة الصحبة ولهذا يقال ابن الفلاة لمن يداوم سلوكها وابن السري لمن يكثر منه، وتقول تبنيت ابنًا إذا جعلته خاصًا بك، ويجوز أن يقال إن قولنا هو ابن فلان يقتضي أنه منسوب إليه ولهذا يقال الناس بنو آدم لأنهم منسوبون إليه وكذلك بنو إسرائيل، والابن في كل شيء صغير فيقول الشيخ للشاب يا بُني ويسمى الملك رعيته الأبناء وكذلك أنبياء من بني إسرائيل كانوا يسمون أممهم أبناءهم ولهذا كنى الرجل بأبي فلان وإن لم يكن له ولد على التعظيم، والحكماء والعلماء يسمون المتعلمين أبناءهم ويقال لطالبي العلم أبناء العالم وقد يكنى بالابن كما يكنى بالأب كقولهم ابن عرس وابن نمرة وابن آوى وبنت طبق وبنات نعش وبنات وردان، وقيل: أصل الابن التأليف والاتصال من قولك بنيته وهو مبني وأصله بني وقيل بنو ولهذا جمع على أبناء فكان بين الأب والابن تأليف، والولد يقتضي الولادة ولا يقتضيها الابن، والابن يقتضي أبًا والولد يقتضي والدًا، ولا يسمى الإنسان والدًا إلا إذا صار له ولد وليس هو مثل الأب لأنهم يقولون في التكنية أبو فلان وإن لم يلد فلانًا ولا يقولون في هذا والد فلان، إلا أنهم قالوا في الشاة والد في حملها قبل أن تلد وقد ولدت إذا ولدت إذا أخذ ولدها والابن للذكر والولد للذكر والأنثى.

«الفرق» بين الآل والعترة أن العترة على ما قال المبرد النصاب ومنه عترة فلان أي منصبه، وقال بعضهم: العترة أصل الشجرة الباقي بعد قطعها قالوا: فعترة الرجل أصله، وقال غيره عترة الرجل أهل وبنو أعمامه الأدنون واحتجوا بقول أبي بكر رضي الله عنه عن عترة رسول الله ﷺ يعني قريشًا فهي مفارقة للآل على كل قول؛ لأن الآل هم الأهل والاتباع والعترة هم الأصل في قول والأهل وبنو الأعمام في قول آخر.

«الفرق» بين الأبناء والذرية أن الأبناء يختص به أولاد الرجل وأولاد بناته لأن أولاد البنات منسوبون إلى آبائهم كما قال الشاعر:

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا ... بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ

ثم قيل للحسن والحسين عليهما السلام ولدا رسول الله ﷺ على التكريم ثم صار اسمًا لهما

لكثرة الاستعمال، والذرية تنتظم الأولاد والذكور والإناث، والشاهد قوله عز وجل: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام:٨٤] ثم أدخل عيسى في ذريته.

«الفرق» بين العقب والولد أن عقب الرجل ولده الذكور والإناث وولد بنيه من الذكور والإناث إلا أنهم لا يسمون عقبًا إلا بعد وفاته فهم على كل حال ولده، والفرق بين الاسمين بيِّن.

«الفرق» بين الولد والسِّبْط أن أكثر ما يستعمل السبط في ولد البنت ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله ﷺ، وقد يقال للولد سِبط إلا أنه يفيد خلاف ما يفيده لأن قولنا سبط يفيد أنه يمتد ويطول، وأصل الكلمة من السبوط وهو الطول والامتداد ومنه قيل السباط لامتداده بين الدارين والسبطانة ما يرمى فيها البندق من ذلك، والسبط شجر سمي بذلك لامتداده وطوله.

«الفرق» بين البعل والزوج أن الرجل لا يكون بعلًا للمرأة حتى يدخل بها وذلك أن البعال النكاح والملاعبة ومنه قوله ﷺ: «أيام أكْلٍ وشُرْبٍ وبعَال»[1]، وقال الشاعر:

وكَم من حصَانٍ ذَاتَ بَعْلَ تَركْتُها ... إذا اللَّيْلُ أدْجَى لم تَجِدْ مَنْ تُبَاعِلُهُ

وأصل الكلمة القيام بالأمر ومنه يقال للنخل إذا شرب بعروقه ولم يحتج إلى سقى بعل كأنه يقوم بمصالح نفسه.

ومِمَّا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ

«الفرق» بين الصاحب والقرين أن الصحبة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر ولهذا يستعمل في الآدميين خاصة، فيقال صحب زيد عمرًا وصحبه عمرو ولا يقال صحب النجمُ النجم أو الكونُ الكونَ، وأصله في العربية الحفظ ومنه يقال صحبك الله وسر مصاحبًا أي محفوظًا وفي القرآن: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء:٤٣] أي يحفظون وقال الشاعر:

* وصَاحب مِنْ دَوَاعي الشَّر مُصْطَحِب *

والمقارنة تفيد قيام أحد القرينين مع الآخر ويجري على طريقته وإن لم ينفعه ومن ثم قيل قران النجوم، وقيل للبعيرين يشد أحدهما إلى الآخر بحبل قرينان فإذا قام أحدهما مع الآخر لبطش فيهما قرنان فإنما خولف بين المثالين لاختلاف المعنيين والأصل واحد.

«الفرق» بين المولى والولي أن الولي يجري في الصفة على المعان والمعين تقول: الله ولي المؤمنين أي معينهم والمؤمن ولي الله أي المعان بنصر الله عز وجل، ويقال أيضًا المؤمن ولي الله والمراد أنه ناصر لأوليائه ودينه، ويجوز أن يقال الله ولي المؤمنين بمعنى أنه يلي حفظهم وكلاءتهم كولي الطفل المتولي شأنه، ويكون الولي على وجوه منها ولي المسلم الذي يلزمه القيام بحقه إذا احتاج

(١) ابن أبي شيبة في مصنفه، والدارقطني في سننه، وهو حديث ضعيف.

إليه ومنها الولي الحليف المعاقد ومنها ولي المرأة القائم بأمرها ومنها ولي المقتول الذي هو أحق بالمطالبة بدمه، وأصل الولي جعل الثاني بعد الأول من غير فصل من قولهم هذا يلي ذاك وليًّا وولّاه الله كأنه يلي أمره ولم يكله إلى غره وولاه أمره وكّله إليه كأنه جعله بيده وتولى أمر نفسه قام به من غير وسيطة وولى عنه خلاف والي إليه ووالى بين رميتين جعل إحداهما تلي الأخرى والأولى هو الذي الحكمة إليه أدعى، ويجوز أن يقال معنى الولي أنه يحب الخير لوليه كما أن معنى العدو أنه يريد الضرر لعدوه، والمولى على وجوه هو السيد والمملوك والحليف وابن العم والأولى بالشيء والصاحب، ومن قول الشاعر:

ولست بمولى سوأة أدعى لها ... فإن لسوآت الأمور مواليا

أي صاحب سوأة، وتقول: الله مولى المؤمنين بمعنى أنه معينهم ولا يقال: إنهم مواليه بمعنى أنهم معينو أوليائه كما تقول أنهم أولياؤه بهذا المعنى.

«الفرق» بين الخلّة والصداقة أن الصداقة اتفاق الضمائر على المودة فإذا أضمر كل واحد من الرجلين مودة صاحبه فصار باطنه فيها كظاهره سميا صديقين ولهذا لا يقال الله صديق المؤمن كما أنه وليه، والخلة الاختصاص بالتكريم ولهذا قيل إبراهيم خليل الله لاختصاص الله إياه بالرسالة وفيها تكريم له، ولا يجوز أن يقال: الله خليل إبراهيم، لأن إبراهيم لا يجوز أن يخص الله بتكريم، وقال أبو علي رحمه الله تعالى: يقال للمؤمن إنه خليل الله، وقال علي بن عيسى: لا يقال ذلك إلا لنبي لأن الله عز وجل يختصه بوحيه ولا يختص به غيره قال: والأنبياء كلهم أخلاء الله.

ومما يجري مع ذلك

«الفرق» بين الصفوة والصَّفْو أن الصفو مصدر سمي به الصافي من الأشياء اختصارًا واتساعًا، والصفوة خالص كل شيء، ولهذا يقال: محمد ﷺ صفوة الله ولا تقول صفو الله. فالصفوة والصفو مختلفان وإن كانا من أصل واحد كالخبرة والخبر. ولو كان الصفوة والصفو لغتين على ما ذكر ثعلب في الفصيح لقيل محمد ﷺ صفو الله كما قيل صفوة الله.

«الفرق» بين الاصطفاء والاختيار أن اختيارك الشيء أخذك خير ما فيه في الحقيقة أو خيره عندك، والاصطفاء أخذ ما يصفو منه ثم كثر حتى استعمل أحدهما موضع الآخر واستعمل الاصطفاء فيما لا صفو له على الحقيقة.